والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية ادبية ذات خمسة فصول ينخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث

الخيانة والغدر

عباس العلوي في منازل البرامكة . باب على حدة . مائدة عليها شمعة مشعلة

المشهد الأول

ياسر (١)

ياسر قد آن الوقت الذي عاهدتُ الفضل عليهِ وقرُب منتصفُ الليل ولم يأتِ بعد . وانا ادور في المحلة القصر متربصًا قدومهُ ساهرًا سهر البخيل على دنانيره عساني افوز بما وعدني بهِ الرشيدُ يوم اهداني الى جعفر إن اتيتُهُ بدخلة اخبارهم ومصادر اسرارهم . يحسبوني صادق النيّة صافي الطويّة وانا أعلاهم بحار الكلام في طيهِ سمٌ قاتل (سكوت) .

على اني اذكرُ الايام التي مضت ايام كنتُ في هرقلة اعيشُ بالدلال والتقى في بيت البطريق ابي سرجيس . فاحاطت بنا جنود الرشيد واذ لم يتمكّنوا من المدينة قهرًا ارادوها غيلةً فكنت انا الخائن القيتُ اليهم بمفاتيح المدينة سرًّا واتيتُ الى معسكرهم فوجدت ديني وكفرتُ بمعتقدي فكان جزائي الاسر حتى اصبحتُ بعد العزّ والكرامة ذليلًا اقضي العمرَ بالمجون والعهارة والفجور ولا اصل اليها الّا بالمكر والخديعة (٢ . فهذا جعفر لم ارَ منهُ الّا كل

---

(١) اجمع المؤرّخون على انّ الرشيد اهدى هذا العبد الخائن الى جعفر ليطلعهُ على اسرار البرامكة (٢) امثال هذا العبد كثيرة في التاريخ . امّا فتح هرقلة فتجد وصفهُ في المسعودي (٦ : ٢٤١) وابن الاثير (٦ : ٧٠) وغيرهما

مليحة : لبابُ كرم . وعتقُ منظر . وجودةُ مخبر . وتراهةُ نفس . وكمالُ خصال . وانا اسعى عليهِ فاجعل مفاخرهُ مقاذر ومكـارمهُ مثالب . فبئس الخيانةُ وبئس تابعوها (١

كم من مرّة تقززتْ نفسي من الدنس ونبض الدم في مفاصلي نفرةً عن الخساسة واستكرهت روحي دناءتي فعزمت على ان اقوم كالابن الشاطر واذهب الى بلادي فارمي بنفسي على اقدام البطريق واسالهُ الصفح عمّا كان. (سكوت)

أيعفو عني ؟ ظلمُ الجرم قد سدَّ بوجهي ابواب الرحمة. لات حينَ ندامةٍ . لا رجاء لمن كفر بقومهِ واهلهِ ودينهِ وربهِ. قد مضى ما مضى وليس الى المَرد على الاعقاب سبيل. فلم يبقَ لي الان الّا اتباع خطّتي. وما الدنيا الّا غنيمة يتسابق اليها الناس والجواد من فاز بها بايّ اسلوب كان. هذا مناي ... اني اسمع همساً. هلمَّ تفتح الباب السرّي لعلَّ الفضل بانتظارنا (يخرج)

المشهد الثاني

يدخل يحيى البرمكي وجعفر وجيفر

جعفر نعم ابتِ. لبثتُ في قصر الخُلد مع اخويَّ والخليفة الصغير وجبريل طبيبك فرحين لنجاة ضيفنا الشيخ الكريم. هذا سبب تأخري عن العودة

يحيى يا للعجب !

جعفر انتَ سمعتَ إصدار العفو عن الشيخ

جيفر اجلْ سيدي. لمّا طلب المأمون خلاصهُ اجاب الرشيد بطيبة خاطر ووكل الى الفضل بن الربيع ان يُطلق سبيلهُ غدًا

يحيى ولِمَ لم يُعلمنا الخليفةُ بذلك ؟ لكنهُ اعلم الفضل عدوَّ العلوي وعدوَّنا

جعفر ان الرشيد متقلّب الاراء يعفو ويغضب في ساعة واحدة لكني لأعجبُ من حلمهِ الآن وقد تركتهُ يتلظّى غيظاً والفضل يُغريهِ على الفتك بالعلوي

(١) ابن عبد ربه (٣:٢٦)

يحيى سبحانَ مَن بيدهِ قلوب الملوك يديرها كيفما شاء . انهُ القدير الرحيم بالعباد

جعفر انا ذاهب لاعلمهُ أن العفوَ صدر فيهِ

جعفر ما الذي بيدك ؟

جعفر تفّاحة في غير اوانها . اعطانيها جبريل هديّة لك . كدتُ انساها . انظر ابتِ فيها رقعة

جعفر هاتِ

جعفر وانا مسرع الى مخدع الشيخ (يخرج)

المشهد الثالث

يحيى البرمكي . جعفر

جعفر (يأخذ الرقعة ويقرأ) :

« يُعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغُ عنك كما يروغ الثعلبُ »

وما معنى ذلك ؟

يحيى اراد جبريل ان يحذّرنا من مكيدة

جعفر هو هذا لكن ما يكون الامر ؟

يحيى يريد الرشيد قتل العلويّ

جعفر وقد عفا عنهُ !

يحيى هي خديعة ليتمكّن من العلوي ونحن في أمن لما اضمر من الشرّ جاهلون

جعفر اوَ تظنُّ انَّ الرشيد مع ما يظهرهُ من التورّع والعبادة يقدم على نكث العهود وسفك الدماء ؟ او هل يُلقي في طيّ النسيان ما كتبهُ بيدهِ من صكوك الامان ليحيى بن عبدالله . فلا جنّا الذين بالعهود يكفرون

يحيى دع عنك هذه الاوهام فان الرشيد سريع الغضب ثائر المخايلة يجمع بين التقوى والقساوة . [فكم من مرّة لم يكد ينجز ركعاتهِ في الصلاة الّا وامر بالسيف والنطع فهدر الارواح وتطع الاعضاء تحت السياط والعصا تقطيعاً وهو ينظر الى الدماء تتدفّق واللحمان تتناثر حواليهِ وانا ادعوهُ

الى الشفقة بلا جدوى (١] . والان فهذا شيطانهُ الفضل بن الربيع وهو شرس الخلق وحشيُّ الطباع وقد تملَّك على افكارهِ وارائهِ يُسهّل لهُ سُبُلَ الجور. فلا عجب من كيدهِ وظلمهِ . . اما نحن فعلينا ان نتلافى مـا هو أولى بالتلافي فنطلق سبيل العلوي عاجلًا

جعفر لكنك لا تجهل سيدي ما في اطلاقهِ من الجرأة والتعرُّض للمهالك فسوف يتَّخذ الواشون حفظنا للعهد وسيطة لتأجيج نار البغضاء في وجهنا (٢

يحيى قد وقعت الاقضية اللازمة والحقوق الواجبة فيجب ان لا يكون لنا ارادة ولا اغضاء ولا جبن اثرةً للحق وقياماً بالعـدل وبرًّا في اليمين. هو الدين يقضي بانجاز العهود ولو عرَّضنا بارواحنا وبرلدنا للهلاك

جعفر صدقت يا ابتِ . الدين الدين يوجب علينا هذا. فلنعرِّفنَّ العلوي بابنهِ موسى

يحيى انظر : على جانب الرقعة كتابة . (يقرأ) « سيقتلهُ عند منتصف الليل »

جعفر ايكون هذا ؟ (اضطراب)

يحيى يا لله من هذا الاثم الفظيع

جعفر قد اقترب من الليل نصفهُ . ما العمل ؟

يحيى فلنسرع باطلاقهِ قبل ان يحدث حدث . هاتِ رسالتك الى الفضل بخراسان

جعفر فُقدت فلم اجدها

يحيى ان في منازلنا قومًا غششة يخدعوننـا . لا بُدَّ من الاسراع . ادعُ العلوي وجعفرًا

جعفر ها هما آتيان

---

١) اطلب في الاغـاني والطبري والفخري والمسعودي الخ حوادث كثيرة تثبت ما ذكر. وهاك مثلًا واحدًا ننقلهُ عن الطبري (٣ : ٧٣٤) « اخبر ابن جامع المَرْوَزي عن ابيهِ قال : كنتُ في من جاء الى الرشيد باخي رافع فدخل عليهِ . فسمعت الرشيد يقول : إنَّا لله وانا اليهِ راجعون . ثم دعا بقصَّاب فقال : لا تشحذ سكّاك اتركها على حالها وفصّل هذا الفاسق ابن الفاسق وعجّل ولا يحضرني اجلي وعضوان في جسمهِ . ففصّله حتى جعله اشلاء . فقال : عُدَّ اعضاءهُ . فعددتُ لهُ اعضاءه فاذا هي اربعة عشر عضوًا . فرفع الرشيد يديهِ الى السماء فقال : اللهمَّ كما مكنتني من ثارك وعدوّك فبانت فيهِ رضاك فمكّني من اخيهِ . ثم أغمي عليهِ وتفرّق من حضر »

٢) اطلب الفخري (٢٨٨) وابن بدرون (٢٤٦) والطبري (٣ : ٦٦٤) وسائر المؤرخين

المشهد الرابع

يحيى البرمكي . العلوي . جعيفر . جعفر

جعيفر نعم سيدي الشيخ غدًا تعود الى الحرية فقد سمعتُ الرشيد يأمر بفكّ قيودك

العلوي سقيًا لك من بشير . كنتُ ليها الاسياد بين نائم وساهر تتلاعب بي الهواجس والاوهام تارةً تريني خيالاتٍ لا يزال رسمُها مطبوعًا في فؤادي كأني مطلق الحريّة اسيرُ حيثُ شئت . وقد لقيتُ ابني موسى بعد السنين الطوال فعانقتهُ وقبّلت وجنتيه . وطورًا يتخيّل لي أنّ ذئابًا ضاريةً احاطت بنا فاختطفته من بين ذراعيّ وجعلتُ تنتاشه على حين لا استطيع ان اضمد كلومه الدامية وانجيه من بين مخالبهم

يحيى صدق منامك في فاتحته وقاك الله من الخاتمة

العلوي قد أشكل عليّ كلامك

يحيى إنّ الرشيد قد أظهر في كلامه البرّ واضمر الضرّ . فما وَعْدهُ بخلاصك إلّا خديعة تمكّنهُ منك فريسةً هيّنة . فهو عازم على قتلك الساعة قبل ان يُسفر الصبح

جعيفر يا فتى !

العلوي لا حول ولا قوّة الّا بالله ! . اتقِ الله يا ابن خالد في امري ولا تتعرّض الى دمي فتخفر ذمتك

يحيى طب قلبًا . . . .

العلوي إن الحسدة بغوا عليّ ورموني بما ليس فيّ وتقوّلوا عليّ الاقاويل كذبًا وانا وتربة اجدادي ما أحدثتُ حدثًا ولا آويتُ محدثًا (١

---

(١) قال ابن الاثير (٦ : ٦٢) . ان الرشيد دفع يحيى بن عبدالله . . الى جعفر فحبسهُ ثم دعا به ليلةً وسالهُ عن بعض امره فقال لهُ : إتّقِ الله في امري . . . فوالله ما احدثتُ حدثًا ولا آويت محدثًا . فرقّ لهُ وقال اذهب حيث شئتَ من بلاد الله . قال : كيف اذهب ولا آمنُ ان أُوخذ . فوجّه معهُ ممّن ادّاه مأمنه . وبلغ الخبرُ الفضلَ بن الربيع من عينٍ كانت لهُ من خواصّ جعفر فرفعهُ الى الرشيد

جعفر لا يزال الرشيد يسعى في هلاك آل علي

العلوي او لم يكتفِ الرشيد بما فعل وبمن ذبح منّا والحق حقنا [فان «ابانا عليًا كان الامام وهو اوّل المسلمين اسلاماً ومن ولده الحسن والحسين سيّدا شباب اهل الجنة . فاين حظّكم من الخلافة يا بني هاشم ؟ وكيف ورثتم ولاية علي واولاده احياء » ؟ (١]

يحيى اخفض من كلامك فاني اخاف المنافقين والخوّان

العلوي لا — أو انكر الرشيدُ صكّ الامان هذا الذي كتبهُ لي بيدهِ فأشهدَ عليهِ جلّة بني هاشم وشهدتم عليهِ انتم فارسلهُ مع هدايا فاجبتُ الى الصلح وتركتُ الالوف من احزابي شحًّا بدماء العباد وزهدًا بالدنيا . فألقاني في مطمورة لولاكم لمتُّ فيها من العذاب وهو الآن يريد قتلي (٢

امّا والله لكأني باخي النفس الزكيّة وابراهيم قتيل باخرَى يقولان للعباسي وقد ضيّق عليهما : لن ينقضي عنا يومٌ من البلاء الّا انقضى عنك معهُ يومٌ من الرخاء حتى نقضي جميعًا الى يوم ليس لهُ انقضاء يخسر فيهِ الظالمون (٣

جعفر ان الوشاة يزعمون انّك تطالبُ البيعةَ لنفسك

العلوي لا ومَن بسط الارض ورفع السماء لم يَدُر هذا في خَلَدي ولو أني اردت الخلافةَ لمَا اجبتُ الى الصلح يومَ عظمتْ شوكتي في الديلم وخراسان ومصر والشام واجتمع اليَّ المرسَلون من الامصار . فقد كبرتُ وجرّبت الرجال وسبرتُ الدنيا فزهدتُ وطلبت الانقطاع الى العبادة . وبرهانًا لقولي هاك صكَّ مبايعتي للرشيد ولابنهِ المأمون كتبتُهُ بيدي

يحيى (يأخذ الصكّ) سكّن الروع فلا يصل اليك الرشيد بضرّ والبرامكة احياء . فان شهامتنا ودينا يقضيان علينا بخلاصك ولو كان الهلاك جزاءنا . فاذهب حالًا قبل وقوع الفاجعة

العلوي اتكم لكرام اشراف

---

(١) الاربلي (٥١ و ٨٠) بالحرف الواحد

(٢) ابن الاثير (٦ : ٤٤) والاغاني (١٧ : ٤٣) والطبري (٣ : ٦١٢) والمسعودي (٦ : ٣٠٠)

(٣) المسعودي (٦ : ١٩٤—٢٠٥) والفخري (٢٩ و ٣٦٥) وابن الاثير (٦ : ٥٩)

يحيى وقد حان الوقت لأعلمك بسرٍّ طالما طويتُهُ في صدري. اتذكرُ ابنك موسى يوم اختُطِف من بين يديك طفلًا رضيعًا (١

العلوي كيف لا وذكرهُ لا يزال يُثير اشجاني ويسكب عبراتي ؟

يحيى (لجعفر) يا موسى بن يحيى قبّل يد ابيك

العلوي جعفر ابني ! !

جعفر انت ابتِ (يتعانقان)

العلوي انت جعفر ابني وقرّة عيني موسى ؟ تعال يا ولدي ومهجة فؤادي اضمّك الى صدري فان قلبي لبعادك قد بردت حركتُهُ وكادت تزول الروح من جسدي

جعفر يا ابتاه !

يحيى ها العقد الذي كان في عنقه ساعة اراد الجنود ذبحه

العلوي هو هو . هذه الاعين النُجل والجبين الوضّاح سيماء ولد عليّ

جعفر قد طالما حنّت اليك عظامي ودمي وقلبي فجمعت لك الزهور ومالت الى رؤياك وتُقت الى محادثتك ! كم بكيتُ لمّا عرفت أني يتيم ولم ادرِ انك انت ابي (يقبّل يده)

جعفر سبحان من أتا كما بالفرج بعد اليأس

العلويّ لله الشكر والحمد فانهُ ردَّ عليَّ ولديَّ ابراهيم عبد الله وموسى جعفر

جعفر اذن عبدالله اخي !

العلوي هو اخوك ابراهيم

جعفر (بفرح) احمدك الله على ما اوليت من النعم

العلوي وبعد الله فلكم يا معشر البرامكة الكرام أشكر وعلى ايديكم البيضاء أثني. ولا قِبَلَ لي بالقيام بحق نعمكم وحرمة آلائكم. فلم أرَ ولم اسمع بمجرد ومروءة وورع ودين كما رأيت في منازلكم. فلو فاخرت الدنيا بالمآثر من خصائص نفوسكم فعال من سواكم من لدن آدم الى ان ينفخ في الصور ويبعث اهل القبور لما باهت الّا بكم ولا عزّت في الفخر الّا عليكم.

---

١) ذكر هذا ابن الاثير (٥ : ٢١٢) في خبر محمد بن عبد الله العلوي

فاني اسير معروفكم ورهين كرمكم . اقسم بكل ما هو عزيز وشريف اني سأنشر محاسنكم وابثُّ عرف مناقبكم مـا دامت الروح في جسدي (١

جعفر لا ادري ما اقول . فاني فرحٌ للقيان ابي لكن دعني ان ادعوك باعزّ الاسماء. انت ايها الجدّ الكريم وانت ابت الحبيب (يقبّل يد يحيى وجعفر) قـد رُبيت في حجركما كابن من ابنائكما فكنتُ موضع حبكما وحبهم . والآن كيف انهض بواجب منتكم وانا طفل صغير ؟ فليس لي الّا الدعاء الى الله ان يحفظكما وذويكما بنعمته ويقيكما ويقيهم كيد الاعـداء . انهُ اللطيف بالعباد

يحيى وقانا الله واياكما كيد الظالمين

جعفر ان الوقت حرج وفي ضياع دقيقةٍ واحدةٍ لخطرًا فاذهبا مسرعين على طريق خراسان وانا لاحق بكما ان شاء الله

العلوي كيف ارحل وادع اولياء نعمتي في خطر من اجلي

يحيى استحلفتك بالله يا ابن عبدالله ان تسرع بالسفر الساعة سالًا قبل ان تُبثّ العيون في طلبك فلا باس علينا انما الخوف كل الخوف عليك

جعفر خذ خاتمي يعرفهُ اخي الفضل فيكرمكما (٢

يحيى ان الليلة باردة خذ ردائي (للعلوي)

جعفر (لجعفر) إلتحف بهذا

يحيى واذهبا شاءكما السلام

العلوي بماذا اكافئكم ؟ ان الله وحده وليُّ ثوابكم

جعفر سألت الله ان اموت حبًّا بكم يا آل برمك

يحيى أسرعا رافقتكما السلامة في الحلّ والترحال (يخرجان)

---

١) نخبةٌ مما ذكر المؤرخون كابن عبد ربّه والمسعودي والفخري في مدح البرامكة

٢) كان الفضل واليًا على خراسان . اطلب الطبري (٦٣١)

المشهد الخامس

جعفر . يحيى

يحيى قد تمّ الامر

جعفر (على حدة ينظر الى الخارج باضطراب منذ برهة) اني اسمع حركةً

يحيى صوت الفضل بن الربيع

جعفر كيف يندسّ في منازلنا سرًا كاللص ؟

يحيى فانخترط عسانا نطّلع طلع مراده (يُطفئ الشمعة)

جعفر سادعو الينا بعض الخدم (يخرج من آخر المسرح)

يحيى أعنّا يا رب وقدّر بحكمتك ما شئت فاني لاوامرك مطيع (يختفي في غرفة العلوي)

المشهد السادس

الفضل . ياسر

ياسر هذا المكان . فكن لِمَ تريد الدخول ليلًا على العلويّ ؟

الفضل دَعْ ما لا يعنيك واكتفِ بما امرتك

ياسر سمعًا وطاعةً

الفضل كأني رأيتُ نورًا ساعة دخولي وسمعت صوتًا

ياسر ان الجميع عهدتُهم في سنة النوم

الفضل كأني بعلي بن ابي طالب يردُّني مجرّدًا في وجهي سيفًا ذا حدّين (باضطراب) ويتوعّدني بالانتقام ان سفكت دمًا زكيًا

ياسر (على حدة) او يريد قتل العلوي اوانا الشريكُ لهُ في الجريمة !

الفضل ألا ترى احدًا ؟

ياسر لا

الفضل اين مخدعُ العلويّ ؟

ياسر هنا

مغارة سنّ الفيل المتّخذة قديمًا كدفن للموتى

الفضل لاقتلنك بسيف جدك علي (ضجة)

يحيى (يخرج) عُدْ ايها الذل الخوّان (يدخل جعفر وبعض الخدم)

الفضل قد اخطأتْ يمناي فنجا العلوي

يحيى اترموا عنهُ سيفهُ

جعفر لا بُدَّ من قتل هذين الخائنين

يحيى كلاَّ. اغمدوا سيوفكم

جعفر دعنا نقتلهما

يحيى امرتكم بحق الابوَّة

جعفر من اراد القتل فهو قاتل وما جزاء القاتل الّا الموت

يحيى امرتكم بحق سيادتي. ألستُ السيّد في منزلي

جعفر لا موضع للحلم بمن يغدر بالنيام

يحيى ان العجلة عاقبتها وخيمة (ينظر الى سيف الفضل الملقى على الارض ويقلّبهُ)

جعفر ذو الفقار سيف الرشيد (١

يحيى هو هو

جعفر بئس المكر وقبحاً لذويه

يحيى قد ظهرت اعمالكَ يا ابن الربيع وانهتك الحجاب عن دناءة اصلك (٢ وانحطاط قدرك وخساسة طبعك فلا حاجة لتدنيس سيف برمكي بدم لئيم غدّار او عبد خائن (يشير الى ياسر). خلوا رباطهما. اذهبا واعلما مَن ارسلكما ما سمعتما ورأيتما

الفضل لَسفكُ دمي اهونُ عليَّ من عفوكم. والله سانتقم شرّ انتقام واتبع العلوي على طريق خراسان فاشفي غليلي من دمه وأرتع بكم كبيراً وصغيراً

---

١) ابن الاثير (٥: ٢٢١) والمشرق (٣: ٥٧٩)

٢) كان الربيع ابو الفضل لقيطاً والفضل هذا مرميّاً بالفواحش. اطلب الفخري (٢٢٩-٢٤٠) وسائر المؤرخين

ياسر وانا سأطلع الرشيد طلع اسراركم وأبلغهُ يا جعفر امر الحسن والحسين (١ ومروقك عن الدين

جعفر يا لله (يخرج الفضل وياسر)

يحيى اذهبا الى لعنة الله. وانتم عودوا الى أمرائكم (يخرج الخدم)

المشهد السابع

يحيى . العلوي . جعيفر (جعفر على حدة مضطرب)

جعيفر ما هذه الجلبة ؟

العلوي اصحيح أنَّ لصًّا اراد بكم شرًّا ؟

يحيى نذل لئيم الفضل بن الربيع ارسلهُ الرشيد ليقتلك بسيف جدّك

العلوي ذو الفقار (يقبّلهُ) اعدّه عليٌّ للكفرة وابن هاشم يجرّده على العلويين

يحيى ستلحق بك الجنود على طريق خراسان فاليث في بغداد متنكرًا

العلوي لا يجمل بي ان ادعكم هدفًا لسهام الرشيد وانجو. فها اني سائر اليه فريسة باردة يكون فيها خلاصكم

يحيى كلَّا لا نرضى بذلك. على الحرّ انجاز ما وعد. فقد أمّنتُك يوم دعوتك من الديلم فلا اخفر الان ذمتي

جعيفر انا اموت عوضًا عن الجميع

يحيى سألتك بالله ألّا تتأخر عن الذهاب فان بقاءك لا ينجينا وفيهِ هلاكك. ونحن فعلى الله توكّلنا

العلوي ساقضي ما امرت. اللهم لا تدع الحق يغلبه الباطل (يخرج العلوي وجعيفر)

المشهد الثامن

يحيى . جعفر

جعفر (باضطراب) اسمعتَ ما توعّدني بهِ ياسر ؟

(١ يُلمح الى قصة البأسة اخت الرشيد مع جعفر وولدَيها الحسن والحسين والى ما نُسب الى جعفر من الزندقة

يحيى قد جرى ما جرى وليس رجاؤنا الّا بالله . ان نفسي تحدّثني بزوال قريب (١
جعفر وانا كذلك فقد ركبت امس الى كنيسة فوجدت على احدى جدرانها حجرًا عليه كتابة لا تُفهم فأحضرت تراجمة الخط فاذا فيها ابيات تشاءمتُ منها
يحيى الم أوصِكَ الّا تسير الى الكنائس جهارًا فيرمينا الناس بالزندقة (٢

١) ذكر المؤرخون أنّ يحيى البرمكي رأى في نومه رؤيا تنبّئهُ بقرب زوال نعمتهِ . اطلب ابن عبد ربّه (٣ : ٤٦)

٢) حكى ابن بدرون (٢٢٤) وابن خلكان (١ : ١٢٦) والميلاوي (٩٥) أنهُ لمّا فهم جعفر التتبّر من الرشيد ووصل الحيرة ركب الى كنيسة جا لبعض الامر فوجد فيها حجرًا عليهِ كتابة لا تُفهم فاحضر تراجمة الخطّ وقال في نفسهِ : قد جعلتُ ما فيهِ فألاً لِما اخافه من الرشيد وارجوه . فقُرئَ فاذا فيهِ :

ان بني المنذر عامّ أنقضوا بحيث شاد اليمنَ الراهبُ
اضحوا ولا يرجوهُ راغبٌ يومًا ولا يرهَبُهم راهبُ
واصبحوا أكلًا لدود الثرى وانقطع المطلوب والطالبُ

فحزن جعفر وقال : ذهب والله امرُنا

ونقل ابن قتيبة في عيون الاخبار (٧١) شعر بن للاصمعي في البرامكة وهما :

اذا ذُكر الشرك في مجلس انارت وجوه بني برمكِ
وان تُليت عندهم آيةٌ اتوا بالاحاديث من مَردكِ

ولمّ الصواب من مزدك والمزدكية شيمة معروفة . ونقل بيتين لشاعر آخر :

ان الفراغ دعاني الى ابتناء المساجدْ
وان رأيي فيها كرأي يحيى بن خالدْ

وقد جعل كثير من المورخين سبب نكبة البرامكة او احد اسبابها ما عُزي اليهم من الزندقة والالحاد . كرر الشكوى الطبري (٣ : ٦٦٩) ناقلًا كلام محمد بن الليث في جعفر البرمكي حيث سمّاهُ : « حامد يكيد الاسلام واهلَهُ ويحب الالحاد واهلَهُ » اطلب خلا ما ذكرنا سالفًا الشعراوي في كتاب الاتحاف (٢٤٩ و٢٥٣) حيث ذكر علاقات ابي قابوس النصراني مع البرامكة . والاربلي (١٠٦-١٠٧)

— وزد على ذلك ان الرشيد تغيّر على النصارى بعد فتكه بالبرامكة فقتل الدمشقي المتنصّر ابا الروح وهو المعروف بالقديس اقطونيوس الهاشمي ذكره ابن العبري في تاريخهِ المدني (طبعة بيجان ص ١٢٣) والبيروني (٢٩٢) اطلب المشرق (٥ : ٨) وتجد خبرهُ في احدى المخطوطات القديمة المحفوظة في مكتبتنا الشرقية

اخبر الطبري في تاريخ سنة ١٩٥ه (٨١٠ م) « ان الرشيد امر بهدم الكنائس بالثغور وكتب الى السندي بن هاشك يأمره بأخذ اهل الذمة بمخالفة هيئتهم هيئةَ المسلمين في

جعفر كنت اظنُّ ما رأيتهُ من كيد الرشيد سحاباً يمرّ وشيكاً وسكرةً يُفيق من سورتها

يحيى فقد كذَّب العيان ظنَّك . [امّا انا فقد حنَّكتني الايام فرأيت الخلفاء العباسيين يتتابعون سائرين على الغدر والجور لا يذكرون احسان محسن ولا صدق خادم . دولتهم ذات خداع ودهاء . ولولانا لاضطرب حبلهم وذهبت دولتهم . امّا اليوم فقد داخل الرشيد حسد بني هاشم وبنيهم فسوف يكفر بنعمنا ويقتلك بنا] (١

جعفر ان كان الامر كذلك فجزاء سيئةٍ سيئة مثلها . الظلم بالظلم والبادئ اظلم

يحيى سكِّن الجاش فاليوم يوم الروية

جعفر ما قامت دولة بني العبّاس الّا بنا اما كفى الرشيد أنّا تركناهُ لا يهتمّ بشيءٍ من امر نفسهِ وولده وحاشيتهِ ورعيتهِ وملأنا خزائنهُ اموالًا

يحيى كم نهيتك عن منادمتهِ فلم ترتدع فكانت دالَّتك عليهِ اصل كل شر (٢

جعفر اليس هو الذي اجبرني على الامر ؟

يحيى وقد باريتهُ بالكرم

جعفر هو مالنا حلالًا جمعناهُ وكرمًا فرّقناهُ

يحيى ان الملوك لا تحتمل المباراة

جعفر اني لا أبالي فان البرامكة امراء البلاد لهم تُطيع الجنود والقوّاد

يحيى خفّض من كلامك

لباسهم وركوبهم » . وقال المسعودي (٦ : ٣٦٣) في سبب نكبة البرامكة : « امّا الظاهر فاحتجان الاموال واتهم اطلقوا رجلًا من ابي طالب كان في ايديهم وامّا الباطن فلا يُعلم وقد ذُكرت اشياء والله اعلم بها » فهل هذا الباطن والسرّ الذي لا يُعرف هو ميلهم للدين النصراني ؟ والله اعلم

١) منقول بحرفهِ عن المسعودي (كتاب التنبيه ٣٤٦) والفخري (٣٠١-٣٠٢) والطبري وغيرهم

٢) اخبر الجلاوي (٣٠) قال : كان يحيى ينهى ابنهُ عن منادمة الرشيد ويقول لهُ : إن مَن خدم الملوك في الاموال والاعمال لا ينادمهم . حتى انهُ قال للرشيد : يا امير المؤمنين انا اكره مداخلة جعفر لك ولست آمنُ أن ترجعَ العاقبةُ عليَّ منك . اطلب ايضاً الطبري (٦٧٦)

جعفر اني غدًا سائر اليه فان جاهرني بالعداوة جاهرته بها

يحيى لا تجاهر واذهب مسرعًا فأعدّ لنا ملجأً في خراسان نحتمي به فان نجونا اليوم لا نجو غدًا. فقد دنّت عقارب السعاية من كل جانب واختناق علينا المأمون كل سوء وشرّ وتغيّر الرشيد علينا فلا رجاء لنا

جعفر سافعل. أما والله لكأني بالوعيد قد اورى زنادًا يسطع. فهلًا سهلًا بني العباس فبي والله سَهُل لكم الوعر وصفا لكم الكدر والقت اليكم الامور ازمّتها فلا يكن الكفر بالنعم جزاء الاحسان (يخرج)

المشهد التاسع

يحيى

اللهمّ ان كان رضاك ان تسلبني نعمك عندي فاسلبني — اللهمّ ان كان رضاك ان تسلبني مالي واهلي وولدي فاسلبني الّا جعفرًا (سكوت). اللهم ان ذنوبي جمّة لا يحصيها غيرك. اللهمّ ان كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي في الدنيا وان احاطت بسعي وبصري حتى ابلغ رضاك ولا تجعل عقوبتي في الآخرة (١ (تمّ الفصل الثالث)

السرّ المَصون في شيعة الفَرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الرفيق او الدرجة الثانية من الدرجات السفلى

بلغني بعد اشهر انّ الطالب الذي حضرتُ دخولهُ في الماسونيّة برع في «كاره» فطلب من رؤساء المحفل ان «تُزاد أُجرتهُ (٢» فيُرقّى الى درجة فوق درجته وهو يتلهّب شوقًا

١) ابن الاثير (٦: ٦٣) والفخري (٢٨٦) وابن عبد ربّه (٣: ٣٦٦) والطبري (٦٧٤)

٢) هذه صورة رسالة رسميّة كتبها من عالية في ٣ ك ١ سنة ١٩٠٩ طالب ماسوني (تمكث من اسمهِ) يلتمس فيها ان يرتقي الى درجة رفيق:

حضرة رئيس واعضاء محفل السلام الموقّر

غب المصافحة الاخويّة (الماسونيّة) ابدي بما انّهُ قد مضت عليّ المدّة القانونيّة وانا بدرجة